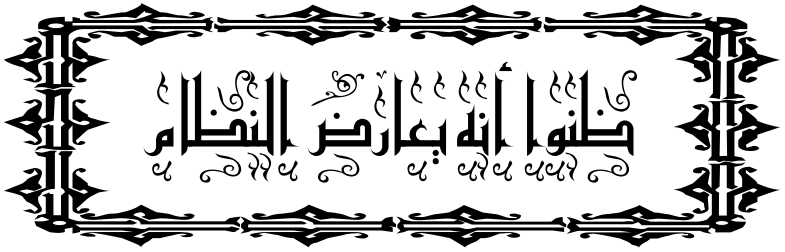

كتبه

د. محمد أشرف صلاح حجازي

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

حقوق الطبع والتوزيع والنقل محفوظة لكل مسلم ومسلمة
للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على ٠٠٢٠١١١٣٣٨٣٣٨٩
﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

للاقتراحات أرسل على البريد الإلكتروني
anamuslim@windowslive.com

لمزيد من الكتب :
www.Iam-muslim.com
www.Iam-muslim.net

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته وصحبه.

ظنوا أنه يعارض النظام

دروس في التوبة والإيمان

كعب بن مالك رضي الله عنه

* جاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ بأن الروم قد حشدت حشودها من أوروبا ونصارى العرب ليستأصلوا الإسلام من أصله في المدينة، تمامًا كما حاول ذلك مشركو العرب قبل ذلك في غزوة الأحزاب.

فبادر إليهم رسول الله ﷺ، وعزم على كل من يستطيع حمل السلاح من المسلمين بالخروج، فالإسلام في خطر الإبادة، وركب إليهم رسول الله ﷺ في ثلاثين ألف مقاتل من أصحابه يريد غزو جيوش الروم قبل أن تأتي إلى المدينة، ولم يجتمع للنبي ﷺ هذا العدد من قبل.

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها حتى يأخذ الأعداء على غِرَّة، إلا هذه الغزوة، وذلك لمشقة الطريق، ولعظمها، ولقوة العدو وعدده، وأنه من خارج الجزيرة العربية، فيجب الاستعداد له أكثر مما يجب لغيره؛ ولأن الظروف لم تكن مواتية فقد كان الحر شديدًا، والسفر بعيدًا، والثمار قد أينعت، والظلال قد طابت.

* يقول كعب رضي الله عنه : فكنت أغدو إلى السوق لأتجهز للسفر مع المسلمين وكنت أرجع كل مرة ولم أفعل، وأقول: إني قادر على أن أتجهز في أي لحظة، ومازلت أتمادى في ذلك، ولم أجهز لسفري.

- فخرج رسول الله ﷺ فهممت أن أرتحل وأدركهم وليتني فعلت.
- ثم ركبني الهم والحزن لتخلفي عن رسول الله ﷺ.
- وزاد همي أني كلما خرجت من بيتي لا أرى إلا رجلاً متهمًا بالنفاق أو عاجزًا قد أعذره الله تعالى.
- أما رسول الله ﷺ فإنه لما وصل إلى تبوك تفقد أصحابه، فقال: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»

فقال رجل: إنما حبسته ثيابه وإعجابه بنفسه، يعني أنه لا يريد أن يسافر فيغْبَرَ ويشعث مثلنا، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا.**»

- قال كعب رضي الله عنه: ثم زاد همي لما عَلِمتُ أن رسول الله ﷺ توجه راجعًا إلى المدينة، فكيف أعتذر إليه عندما ألقاه؟ وكيف أخرج من سخطه؟ وتذكرت أنواع الكذب، ولكني عزمت على الصدق.
- فلما وصل النبي ﷺ إلى المدينة بدأ بالمسجد فصلى ركعتين على عادته، ثم جلس للناس، فجاءه المخلفون يعتذرون ويحلفون، فَقَبِل رسول الله ﷺ علانيتهم وَوَكَلَ سرائرهم إلى الله تعالى وجدد بيعتهم واستغفر لهم.
- فجئته وسلمت عليه فتبسم رسول الله ﷺ تبسم المُغضَب، وقال: تعال.
- فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خَلَّفَكَ يا كعب ألم تكن قد ابتعت راحلتك؟
- فقلت: يا رسول الله لو جلست إلى غيرك من أهل الدنيا لخرجت من سخطه بعذر أختلقه له، فإني والله قد أعطيت حجةً وبيانًا وجدلاً، ولكني والله علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب لترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك

حديث صدق يغضبك عليَّ فإني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي من عذر في ما صنعت، والله ما كنت قط أقوى وأيسر مني حين تخلفت عنك.

ـ فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق، ثم قال: قم حتى يقضي الله فيك.

- فأتاني رجال من قومي يؤنبونني، ويقولون: لماذا لم تعتذر لرسول الله ﷺ كما اعتذر المخلفون؟ وقد كان يكفيك استغفار رسول الله ﷺ لك، فهممت أن أرجع إليه وأكذب.
- ولكني علمت أنه قد صنع مثلي رجلان صالحان شهدا بدرًا فيهما أسوة وقدوة.
- ثم نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا نحن الثلاثة، فاجتَنَبَنا الناس وتغيروا لنا حتى تَنَكَرتْ في نفسي الأرض، فما بقيت هي الأرض التي أعرف.
- وقعد صاحبيَّ في بيتهما يبكيان، وكنت أَشَبَّ الثلاثة وأجلدهم، فكنت أشهد صلاة الجماعة وأذهب إلى السوق، فلا يكلمني أحد، وكنت آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فما أدري هل حرك شفتيه بالسلام أم لا، وكنت أصلي النوافل قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض.
- فلما طالت جفوة الناس اشتد بي الضيق، فذهبت إلى بستان ابن عمي أبي قتادة، وهو أحب الناس إليّ، فطلعت على السور وسلَّمت عليه، فلم يرد السلام، فقلت : يا أبا قتادة: أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله ﷺ؟ فسكت، فأعدتها، فسكت، فأعدتها، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيني بالبكاء ثم انصرفت.

– وبينما أنا بسوق المدينة إذا رجل من الشام معه طعام يبيعه ويدعي أنه من التجار وهو يقول: من يدلني على كعب بن مالكُ فأشار الناس إلى فجاءني وأعطاني كتابًا من ملك غسان فإذا فيه:–

– أما بعد – فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك وأبعدك، فالحقْ بنا نواسك، فقلت: وهذا أيضا من البلاء، فألقيت الرسالة في تنور يَتَّقِد.

– وبعد أربعين ليلة جاءني رجلٌ من عند رسول الله ﷺ وقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا؟ فقال لا : بل اعتزلها فلا تقربها، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك حتى يقضي الله في هذا الأمر.

– أما امرأة صاحبي هلال بن أمية، فجاءت لرسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله إن هلالاً شيخٌ فانٍ، ما به من حركة إلى شيء وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا ولكن لا يقربكِ.

– فقالت: أنه والله يا رسول الله مازال يبكي منذ لزم بيته إلى يومه هذا.

– فلما مَرَّ عشر ليالٍ واكتملت خمسون ليلة صليت الفجر على ظهر بيت لنا، وقد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وضقت بنفسي أشد الضيق.

– سمعت صارخاً من أعلى جبل ينادي: يا كعب بن مالك أبشر، فما أن سمعت الصوت حتى خررت ساجدًا لله، وعرفت أن جاء الفرج وأن رسول الله ﷺ قد أعلن توبة الله علينا.

– وجاء الناس يبشرونني وكان أسبقهم فارسٌ أتى على فرسه، وذهب إلى صاحبيَّ مبشرون، ولما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثيابي التي عليَّ، ووالله ما أملك غيرها.

– واستعرت ثيابًا، وذهبت إلى رسول الله ﷺ، وتلقاني

المسلمون أفواجًا يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنك توبة الله عليك، ودخلت المسجد، فإذا برسول الله ﷺ جالس وحوله أصحابه وقد استنار وجهه كأنه قطعة قمر.

– فلما سلمت عليه قال ووجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قلت: أَمِنْ عندك يا رسول الله أم منْ عند الله عز وجل؟ قال: بل من عند الله.

– قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي وأن أجعله صدقة لله ولرسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.

– ثم قلت: يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي ألا أقول إلا صدقًا ما بقيت. فوالله ما تعمدت إلى يومي هذا كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة بعد أن هدانى الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ.

* رضي الله عن كعب بن مالك، شاعر رسول الله ﷺ، وهنيئًا له توبة الله عليه، فإن الله تعالى أنزل في توبته عليه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.

– قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨]

وقال في حق الكاذبين شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦]

* وأصل الحديث في صحيح البخاري، رقم ٤٠٦٦.

بيان بعض مواطن الخير في القصة :

١- التسويف بئس العمل :

۞ قال كعب ﷺ : فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ.

- فهذا التسويف أول أسلحة إبليس، فإنَّ أطاعه العبد في أول أمره أضاع عليه عمله حتى آخر عمره.

وإن التأني مطلوبٌ في كل شيء إلا ما كان من طاعة الله تعالى.

۞ قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه :٨٤]

ولا يزال الرجل يتأخر حتى يؤخره الله في نار جهنم.

۞ قال رسول الله ﷺ: **لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمْ اللهُ** [صحيح مسلم: ٤٣٨]

۞ قال ابن الجوزي : (قال بعض السلف: أنذركم (سوف) فإنها أكبر جنود إبليس) [تلبيس إبليس ٤٨٧]

۞ قال أبو حامد الغزالي إن التسويف يسبب أربعة أشياء : **(ترك الطاعة، وترك التوبة، والحرص على الدنيا، وقسوة القلب، ونسيان الآخرة)** [إحياء علوم الدين].

٢- الثقة الزائدة بالنفس من جنود إبليس :

۞ قال كعب ﷺ: فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي.

- وإن الثقة بالنفس قرينة **العجب بها والمن بالعمل**

- وكلما ازدادت ثقة العبد بنفسه كلما قلّ توكله على ربه وافتقاره إليه.

- والثقة الزائدة تعني الغرور، والغرور قرين الكبر، والكبر محبطٌ للعمل.

٣- وجوب الاستعداد للجهاد:

۞قال كعب ﷺ : **لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ.**

قال الله تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠]

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ .**» [حسن: رواه أبو داود ٢٥١٣ والنسائي ٣١٤٦، وابن ماجه ٢٨١١، وأحمد ٤/ ١٤٦، والترمذي ١٦٣٧، وقال: حسن: صحيح، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تخريج المسند ١٧٣٢١]

۞ قال أبو هريرة ﷺ: « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ ، قَالَ : لَا أَجِدُهُ . قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ قَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ.» [صحيح البخاري ٢٧٨٥]

يعني إن الفرس المعد للجهاد ليمشي في حدود الحبل المربوط به فيكتب بتلك الخطوات أجر للمجاهد.

٤- الحرب خدعة :

۞قال كعب ﷺ :كان رسول الله ﷺ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا

ـ احذر الجواسيس قدر استطاعتك، وابعدهم عن أمرك واصرف عنهم عزمك ونيتك، إلا ما لا تستطيع أن تخفيه.

فقد كان رسول الله ﷺ يريد أن يحافظ على أسرار جيشه حتى يباغت عدوه.

٥-جواز أن يخبر الرجل عن تفريطه :

يجوز أن يخبر العبد عن تقصيره في طاعة الله حتى يتعظ الناس

وهذا بعكس الكبائر التى لا يجوز أن يخبر الناس عنها بعد أن ستره الله تعالى.

۞قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ.**» [صحيح البخاري ٦٠٦٩ ومسلم ٢٩٩٠]

٦- جواز أن يخبر الرجل عن بعض طاعته:

۞قال كعب رضي الله عنه : «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.»

يجوز التحدث بنعمة الله وتوفيق عبده للطاعة بشرط ألا يتكبر بذلك على الخلق، ولا يمن على الخالق ، ولا يرائي الناس فيبتغى المنزلة عندهم بذلك.

٧- ويجوز حكاية قصص التائبين:

حتي يتأسى بها العصاة المذنبون، ويعرفوا أن التوبة يسيرة بإذن الله، وأنه قد سبقهم إليها قوم آخرون، ولهم على هذا الفعل الكريم قدوة ومرافقون.

٨- من الصدق عدم إدعاء ما لم تفعل من الطاعات.

۞ قال كعب رضي الله عنه : « **غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا.**»

فهو لم يحضر بدرًا، فلم يَدَّعِ حضورها، ولم ينسب لنفسه فضلًا لم يفعله.

۞قال رسول الله ﷺ : « **الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ.**» [صحيح البخاري ٥٢١٩ ومسلم ٢١٣٠]

ـ ومثل هذا يكون أقرب إلى الإخلاص وعدم المراءاة بما فعله من الطاعات.

-ولكنه في غزوة أحد عوض ما فاته في بدر وأبلى بلاءً حسنًا، وجرح أحد عشر جرحًا.

٩- قل الحق ولو على نفسك :

۞قال كعب رضي الله عنه : «**أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ.**»

ـ فهو قد أقر على نفسه بأنه لا عذر له، وهذا أول التوبة **(الإقرار بالذنب)**.

وهذا كان أحد الفروق المميزة لجيل الصحابة رضي الله عنهم عن غيرهم، فغيرهم ربما يتكبر عن الاعتراف بالذنب.

ويدعي كمًا هائلًا من المبررات لفعل الذنب.

وإذا واجهه بالذنب أحد إخوانه رجاء توبته، فتجده لا يستحي من الذنب، لكن يجيب أخاه بأن عند أخيه من الذنوب ما هو أكبر من ذنبه، فلماذا ينكر عليه.

فيرى القشة في عين أخيه ولا يرى جذع الشجرة في عين نفسه.

١٠- جواز مدح المرء بما فيه من الخير :

۞ قال قوم كعب له : « **وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا.**»

لكن لا ينبغي أن يتمادىَ الناس في المدح لأنه قاصمٌ لظهر الممدوح، ومُدلٌ له بالغرور، ومَزْلقٌ كبير له إلى الكبر والعجب بالنفس، وهو من محبطات الأعمال.

۞ مدح رجلٌ رجلًا عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : «**وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا.**» [صحيح البخاري ٦٠٦١ ومسلم ٣٠٠٠]

قال رسول الله ﷺ : إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا .

ـ ولكن من مدحه الناس على طاعته بغير استشراف نفسه لذلك فتلك عاجل بشرى المؤمن، فالمؤمنون شهداء الله على الأرض.

١١- فضل التعاهد على نصرة الدين :

۞ قال كعب رضي الله عنه : « وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ.»

فكان كعب رضي الله عنه يَعُد ذَلك اليوم من فضائل عمله ومما يرجو خيره.

قال الله تعالى : ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾ [الحديد: ١٠]

فالتعاهد على الجهاد لنصرة الدين عند استضعافه لا يعدله شيء، وهو أعظم من الجهاد بعد الفتح وتمكين الدين.

۞ قال كعب رضي الله عنه : « وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ.»

١٢- للإيمان شِرى وفترة فاغتنم شِرى الإيمان :

- الإيمان يزيد في فترات وينقص في فترات.
- فإذا دعتك نفسك لطاعة الله فاغتنمها فإنها فرصة.

فإن كعبًا رضي الله عنه هَمَّ أن يرتحل ليلحق برسول الله ﷺ لكنه لم يفعل.

۞ قال كعب رضي الله عنه : وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ.

۞ قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً،**

فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ.» [صحيح رواه أحمد ٢/ ١٨٨ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٥٠]

۞ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن للإيمان إقبالا وادبارا أو شرى وفترة (يعني فتور) وكان يتمنى أن يموت وهو في حال شرى الإيمان واقباله.

فقد غزا الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ وقدموا ما يحب الله ورسوله ﷺ على ما تحبه نفوسهم من جمع الثمار والبقاء تحت الظلال.

١٣- الندم على التقصير :

۞ قال كعب رضي الله عنه : وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ.

فمازالت نفس المؤمن تنازعه بين الطاعة والمعصية.

- فالمؤمن لا يحسن أن يعصي الله وهو لا يستمتع بمعصية الله.
- **وان محاسبة النفس من شيم المؤمنين**، فمن عاش ولم يحاسب نفسه عاش كالأنعام.
- أما المؤمن فإنه يراجع نفسه عن كل هفوة، ويلومها عند كل ذلة، ويُقَومها عند كل تقصير، ويدفعها عند كل فتور وكسل.

۞وإن النظر في العواقب ليقي كثيرًا من الزلل

١٤- للمعصية ظلمة في القلب فاجتنبها :

۞ قال كعب رضي الله عنه : فَلَمَّا بَلَغَنِي أنه تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي.

- وهكذا الشيطان يظل بأصحابه، حتى ينقلهم من السعادة إلى الهم، ومن الرضا إلى السخط، ومن انشراح الصدر إلى ضيقه، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الصحة إلى المرض.

- **وإن للطاعة سعادة في القلب، وانشراحًا في الصدر، ورضاءً في النفس، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق.**

١٥- من شؤم المعصية أنها تجمعك بالأراذل :

۞ قال كعب ﷺ : فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ.

فإن كعبًا ﷺ لم يجد معه في المدينة إلا المتهمين بالنفاق، فلم يتخلف عن رسول الله ﷺ غيرهم، أو أصحاب الأعذار.

- وإن من أسباب ضيق النفس بالمعاصي إنك لا تجد معك على المعصية إلا سَقَطَ الناس، ولا تجد أحدًا من أفاضلهم يرافقك على المعصية.

- فأهل الإيمان في المساجد والجهاد وتفريج الكربات، وأهل الفسوق في الحانات والمواخير وما استخفى عن أعين الناس وأماكن الربا ومشبوه الأسواق.

- وأما أصحاب الأعذار فإنهم الأعمى والأعرج وصاحب المرض، وهؤلاء يأخذون أجر المجاهدين لو صدقوا في نياتهم.

- قال الله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾[الفتح: ١٧].

۞ قال رسول الله ﷺ : **إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ** [صحيح البخاري ٤٤٢٣]

۞ قال رسول الله ﷺ : **إِنَ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَ شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ.** [صحيح مسلم ١٩١١]

١٦- مواطن التهم تورث سوء الظن :

فإن كعبًا ﷺ لما وضع نفسه في موضع التهمة بتخلفه عن

رسول الله ﷺ أعطى فرصة وسببًا لمن يريد أن يقع في عرضه، حتى قال بعض الناس أن الذي منعه من الجهاد هو أنه لا يريد أن تتسخ ثيابه ولا يريد أن يرهقه السفر لأنه معجب بنفسه، وأمثال هذا الكلام الغير صحيح.

وإن صاحب المعصية هو الذي أعطى الناس الفرصة ليقعوا في عرضه.

وإن نفي التهمة عن النفس واجبٌ على كل مسلم.

- فإن النبي ﷺ عندما قام من اعتكافه في رمضان ليرافق زوجته صفية ﷺ إلى بيتها في الليل رآه رجلان من الأنصار فقال لهما رسول الله ﷺ إن المرأة التي معه هي زوجته صفية حتى لا ينزغ الشيطان نفوسهما شيئاً فيظنان برسول الله ﷺ السوء فيهلكا.

۞ جَاءَتْ صَفِيَّةُ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» [صحيح البخاري ٢٠٣٥]

١٧- احذر فإن المعصية تجر إلى أختها :

۞ قال كعب: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخْطَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى إِذَا قِيلَ النَّبِيُّ هُوَ مُصْبِحُكُمْ بِالْغَدَاةِ زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَنْجُو إِلَّا بِالصِّدْقِ.

– فقد كان كعبٌ رضي الله عنه يريد أن يفر من المعصية الأولى بمعصية أخرى هي الكذب ولولا عصمة الله له لوقع فيها، وقد كان شاعرًا متكلمًا فصيحًا يعرف مداخل الحوار ومخارجه.

فلا تستهن بالذنوب فان المعاصي تجتمع على العبد حتى تهلكه.

واحذر من المعصية الأولى فإنها تجر إلى أختها إذا سقط العبد من عين الله تعالى فيرفع عنه عصمته وتوفيقه.

۞قال الحسن البصري وقد ذكر عنده أهل المعاصي : هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. [ذيل تاريخ بغداد ١٦/ ٣٣٣]

۞ وإن الطاعة تجر إلى أختها إذا قبلها الله تعالى، فإن الله تعالى إذا قبل الطاعة شكرها للعبد، وشكره تعالى يعني الزيادة، والزيادة تعني أن الله يرزقه طاعة أخرى....وهكذا.

ـ وفي قصة العابد اليهودي مثال للمعصية التي تجر إلى أختها.

– فإن برصيصا، العابد اليهودي دعته نفسه إلى كلام المرأة لكي يؤنسها ويخفف عليها وحدتها ثم نظر إليها وهكذا حتى زنا بها وحملت منه سفاحًا ، ثم قتلها وقتل ابنها ، فلما علم إخوتها جاؤا يقتلونه، فقال له الشيطان: أخلصك منهم لو سجدت لي . فسجد له ومات بعدها، فمات على الكفر بانتقاله من عبادة الرحمن إلى عبادة الشيطان.

۞ احذر من المعصية الأولى.

۞ قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان زاهد في الفترة يقال له (برصيصا) يتعبد في صومعته له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين، وأن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال : ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟....فقال أحدهم : أنا أكفيك، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة

برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الشيطان أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انتقل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الشيطان قائمًا يصلى في هيئة حسنة من الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله قال له : إنك ناديتني وكنت مشتغلًا عنك، فما حاجتك؟ قال : حاجتي إني أحببت أن أكون معك وأتأدب بك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، قال برصيصا : أنا في شغل عنك، فإن كنت مؤمنًا فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبًا، ثم أقبل على صلاته وترك الشيطانه، وأقبل الشيطان يصلى، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يومًا بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلى، فلما رأى شدة اجتهاده قال له : ما حاجتك؟ قال :حاجتى أن تأذن لي فأرتفع إليك، قال : فأذن له فارتفع إليه في صومعته وأقام معه حولاً (أي سنة) يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يومًا ولا ينفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يومًا مرة وربما يزيد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا، شدة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه، وأعجبه شأن الشيطان، فلما حال الحول قال الشيطان لبرصيصا: إني منطلق، فإن لي صاحبًا غيرك ظننت إنك أشد اجتهاداً مما أرى وكأنه بلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الشيطان : إن عندك دعوات أعلمكها تدعو بهن خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون، قال برصيصا : إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم الناس به شغلونى عن العبادة، فلم يزل به الشيطان حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى

إبليس، فقال : والله أهلكت الرجل! قال: فانطلق الشيطان فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطيب فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونًا أفأعالجه؟ فقالوا : نعم ، فقال : إني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيشفيه...انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعى الله به أجاب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعى بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان... وكان الشيطان يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون، فانطلق الشيطان فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى إسرائيل فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطيب فقال لهم : أعالجها؟ قالوا : نعم. قال : إن الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون فيه وتدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت تردونها صحيحة، قالوا : فكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنًا من ذلك؟ قال : ابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها وإلا فضعوها عنده في صومعته، ثم قولوا له : هي أمانة عندك فاحتسب فيها. قال فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الشيطان ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا: هذه أختنا ثم انصرفوا، فلما التفت برصيصا من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فأسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم، فجاءها الشيطان فخنقها ، فدعى برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته ثم جاء الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها، فجاء الشيطان وقال : واقعها فتتوب بعد فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها. فقال له الشيطان : ويحك يا برصيصا قد

أفتضحت فهل لك أن تقتلها فتتوب فاذا سألوك فقل : ذهب بها شيطانها فلم أقو عليه، دخل برصيصا فقتلها، ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلًا فأخذ بطرف إزارها، فبقى طرف إزارها خارجًا من التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء أخواها يتعاهدون أختهم وكانوا يسألونه عنها فقالوا : يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ فقال : جاء شيطانها فذهب بها فلم أطقه، فصدقوه وانصرفوا، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان أكبرهم في منامه فقال : ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ودفنها في موضع كذا وكذا، فقال الأخ : هذا حلم وهو من الشيطان، برصيصا خير من ذلك. فقال : فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك، فقال مثل ما قال للأول، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لأخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط : قد رأيت مثله، فقال الأكبر : وأنا رأيت مثله. فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا : ما فعلت بأختنا؟ فقال: أليس قد علمتم؟ فاستحيوا منه وقالوا : والله لانتهمك، فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال : ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف إزارها خارج من التراب، فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال : تقتلها ثم تنكر؟ اعترف...فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة. فلما صلب أتاه الشيطان فقال : أتعرفنى؟ قال لا، قال : أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك، ويحك أما استحييت في أمانة خنت أهلها وإنك

زعمت إنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت، فلم يزل يغويه، ثم قال في آخر ذلك : ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من نظرائك الناس فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك؟ قال : فكيف أصنع؟ قال : تعطيني خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك، قال : وما هي؟ قال : تسجد لي، قال: أفعل، فسجد له، ثم قال له الشيطان : هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك : ﴿ **إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الحشر: ١٦][تفسير القرطبي١٨/ ٣٨]

١٨- الاحتجاج بالقدر لا يكون إلا في المصائب :

❁قال كعب ﷺ : «**فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ.**»

ـ فإن كعبًا كان يحكي القصة بعد توبة الله عليه، وكان يعد تلك المعصية من المصائب التي أصابته، فكان يحتج بالقدر بعد التوبة.

ـ لأن القدر يحتج به في المصائب لا في المعائب وهي السيئات، فلا يجوز أن يحتج بالقدر على فعل السيئة وهو يعملها.

١٩- تفقد القائد لجنده :

❁ قال رسول الله ﷺ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟

ـ فقد كان مع رسول الله ﷺ ثلاثون ألفٌ، وما شغله ذلك عن أن يسأل عن كعب بن مالك ﷺ رغم أنه رجلٌ واحد من عشرات الآلاف هم عدد جيش المسلمين، رغم ذلك فهو يعرف اسمه واسم أبيه، صلى الله وسلم على رسوله ورضى عن أصحابه..

ـ فأين تجد مثل هذا الآن؟

٢٠- فضل الدفاع عن عِرْض المسلم :

❁ قال كعب ﷺ : قال معاذ بن جبل ﷺ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا.

ـ فإن الذود عن عرض المسلم بالغيب من أفضل الأعمال.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**» [صحيح : أخرجه أحمد ٦/ ٤٤٩ والترمذي ١٩٣١، وقال : حديث حسن، وصححه الألباني في الجامع الصغير ١١٢٠٧]

٢١- إحسان الظن بالمسلمين :

❁ قال معاذ بن جبل ﷺ : **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا.**

ـ فإن كمال الخلق أن تحسن الظن بالمسلمين وتسئ الظن بنفسك.

❁ قال عمر بن الخطاب ﷺ يوم عرفة: لو نادى منادٍ من السماء أن الله تعالى قد غفر لأهل عرفة إلا رجلاً لظننت إني هو.

٢٢- الستر على العاصي من خلق الإسلام :

❁ قال رسول الله ﷺ لمن أخبره عن معصية أحد المسلمين : لو«سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ.»

٢٣- التوقف عن الجدال من خير العمل :

❁ قال كعب ﷺ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

لأنه لما سكت ﷺ توقف الجدال بينَ الصحابة ﷺ الذين كانوا يذمون كعبًا، والذين كانوا يظنون به خيرًا.

❁ قال رسول الله ﷺ: « **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ**

الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ.» [حسن: رواه أبو داوود ٤٨٠٠ ، وحسنه الألباني في الصحيحة ٢٧٣]

٢٤- الحاكم المسلم يقبل الأعذار ويدرء الحدود بالشبهات:

❁ قال كعب ﷺ: فلما وصل رسول الله ﷺ.....وجدد بيعتهم واستغفر لهم.

❁ فإن رسول الله ﷺ قَبِلَ من المخلفين علانيتهم ولم يؤاخذهم رغم علمه بكذبهم، وترك حسابهم على الله تعالى.

- فقبول الأعذار من شيم الأكابر.
- ودرء الحدود بالشبهات من شيم الرحماء.

❁ قال جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك الشئ تنكره فالتمس له عذرًا واحدًا إلى سبعين عذرًا، فإن أصبته وإلا فقل:لعل له عذرًا لا أعرفه. [رواه البيهقى في شعب الايمان ٦/ ٣٢٣]

٢٥- الإمام يُجرى الأحكام على الظاهر:

ـ لقد قبل رسول الله ﷺ من المخلَّفين وترك سرائرهم لله رب العالمين، فقبل حلفهم الكاذب وترك حسابهم لربهم عز وجل.

وإن التدخل في النيات والتخوين والاتهامات لهو من الافتراء والكذب والظلم.

ـ فالشرع أمرنا بالحكم على الظاهر وترك النيات لعالمها سبحانه.

ـ إنك إن تحكم بالبراءة مائة مرة وتخطئ في تسع وتسعين أفضل من أن تحكم بالعقاب مائة مرة وتخطئ مرة واحدة.

ـ وإن من مقاصد الشريعة الاهتمام بتبرئة الأبرياء، وعدم الاهتمام كثيرًا بمعاقبة الأشقياء، فربما يتوبوا، وإن أصروا فلن

يفلتوا من **المحيط القاهر والمحصي القادر ـ سبحانه وتعالى.**

٢٦-التربية بالإشارة:

❁ قال كعب ﷺ: «**فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ.**»

ـ فإن القائد اللبيب تكفيه الإشارة يربي بها جنده، وهي تغني عن الكثير من العتاب وكثير من الأوامر والتعليمات والتنبيهات.

ـ ومن آداب الحديث وصالح التربية أن تستقبل محدثك بكليتك ولا تلتفت يمينًا ولا يسارًا وهو يحدثك.

ـ ومن سوء الأدب أن تأتي شيخك من وراء ظهره، أو عن يمينه أو يساره فتحوجه للالتفات لك.

ـ ولكن الأدب أن تأتيه من قِبَل وجهه.

❁قال كعب ﷺ: فجئتُ أَمْشِي حَتى جَلَسْتُ بيْن يَدَيْهِ.

٢٧- القائد ينبغي أن يحيط بأحوال جنده:

❁ فَقَالَ لِي رسول الله ﷺ: مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟

- إن القائد الذي لا يعيش مع جنوده ولا يعرف أحوالهم لا يستطيع أن يكسب ودهم، ولا أن يقودهم إلا قيادة السيد للعبيد، ولا يستطيع أن يلزمهم بأوامره إلا بقوة الحديد، وهذا لا يصلح عند المسلمين.

- ولكن القائد الذي يتفقد أحوالهم، ويُعِين ضعفاءهم وينفس كرباتهم، لحريٌ أن يستميل قلوبهم، فإذا كانت ساعة الوغى سابق أمامهم، فأصبح **نعم الإمام للمأموم، ونعم الأمير للمأمور** ونعم القائد للرعية، ووجد جنوده رهن إشارته، وطوع أمره، ولا يفر أحدٌ منهم عن رايته.

- حتى أنه إذا رجع إلى بلده بدأ بمسجده فصلى فيه ركعتين لكي يستقبل من أراد أن يسلم عليه، ليتفقد شئونهم ويرعى أحوالهم.
- وإن القائد المسلم ليُقدِم مصالح المسلمين على مصالحه الخاصة.
- وإن المسلم الكيِّس لا يطرق أهله ليلًا أو فجأة، حتى تستعد المغيبة، وتصلح من شأنها، وتغتسل وتفعل سنن الفطرة فتأخذ ما زاد من شعورها، وتصلح بيتها وأولادها.
- وفي الزمن الحديث ربما تكون مواعيد الطائرات والقطارات ليلًا، فليخبر أهله قبل قدومه بوقت كافٍ حتى يستعدوا لاستقباله، ولا يفاجئهم بحضوره فيرى ما يكره.

٢٨- خاب من أرضى الناس بسخط الله :

❁ قال كعب رضي الله عنه: وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ.

❁ قال رسول الله ﷺ : مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رضي الله عنه، وأرضى عنه النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ عز وجل، سخط الله عليه، واسخط عليه النَّاسِ. [صحيح :رواه ابن حبان ٢٧٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٣١١]

❁ قال رسول الله ﷺ : مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ الله مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إلى النَّاسِ [صحيح :رواه الترمذى ٢٤١٤ وصححه الألبانى في الصحيحة ٢٣١١]

- فلا تكن غايتك إلا واحدة، وهي الخالق دون المخلوق، والرب دون المربوب، والقوي دون الضعفاء، والعليم دون الجهلاء، والحكيم دون السفهاء، والغني دون الفقراء.

٢٩- الجدال بالباطل لا يجدي عند الله تعالى :

فقد علم كعب رضي الله عنه أنه إن كذب على الناس وصدقوه فخرج من لومهم بخدعة، فإنه لن يخرج بمثلها من **العليم الخبير** الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ.**» [صحيح البخاري ٧١٦٩ ومسلم ١٧١٣]

٣٠- إياك ورفقاء السوء:

❁ قال كعب رضي الله عنه: وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إليه الْمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي

ـ فرغم انتهاء الحوار مع رسول الله ﷺ بما يخذل الشيطان.

إلا أن الشيطان أزَّ أهله عليه، حتى يرجع إلى رسول الله ﷺ فينفي ما أقره، ويرجع في قوله، ويشرع في كذبه.

ـ فالشورى مهمة في الشريعة الإسلامية، لكن يجب أن يكون المستشار أمينًا وعاقلًا، **فلو كان خائنًا أركسك، وإن كان ضعيف العقل أوقعك.**

فلا تجالس من يزين لك المعصية أو يُحَسن لك الباطل ولو كان أقرب قريب.

٣١- الشيطان لا يقطع الأمل في الإنسان :

- فلا يطمئن أصحاب الطاعات، أنهم أدوا ما عليهم من الاتباع والإخلاص، فإن الشيطان سيعود إليهم ليتكلموا عن أعمالهم، فينقلونها من ديوان السر إلى ديوان العلانية، وهنا يسهل عليه أن ينقلها من ديوان الإخلاص إلى ديوان الرياء.

- فاجتهد أن تخفي عن الناس عملك الصالح كما تخفي عنهم سيئاتك، حتى مماتك، فأنت لا تدري متى يغرك الشيطان فيحبط أعمالك.

۞قال الزبير بن العوام ﷺ:من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليعمل. [صحيح : رواه الدارقطني في العلل ٤/ ٢٤٥ والضياء المقدسي في المختارة ٣/ ٧٨/ ٨٨٤ والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٣]

- وإن الشيطان إذا يأس منك في باب دخل عليك من باب آخر، فإن صددته فتح عليك باب ثالث، فما تزال معه في صراع حتى انقضاء أجلك، فاتخذه عدوًا ولا تطمئن له أبدًا.

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر :٦]

- وإن الشيطان يأمرك بالكبائر، فإن رددته رضى منك بالصغائر، فإن دحرته رضى منك بالاشتغال بالمباحات، فإن أطعته وقلت لا بأس إنها مباحات، فتح عليك باب الصغائر ثم الكبائر ثم...ثم...ماذا بعد الكبائر إلا الكفر. سارع وأغلق بابه الآن وأنت قادر **قبل ألا تقدر.**

- وإن الشيطان إذا لم يفز منك بشئ، أزَّ عليك زوجتك وأولادك أو جيرانك أو أصحابك،فآذوك، يشغلونك عن طاعة الله بمشاحنتهم، فيشغلك بدفع الأذى عن الانشغال بالطاعة، أو يشغلك بإرادة الإنتقام عن صفاء العبادة.

- فادع الله أن يصرف عنك الشواغل ولا يسلط عليك المقربين منك حتى تنتفع بوقتك ولا يكون كل عمرك ردود أفعال لمن حولك.

٣٢- المرء بإخوانه :

۞قال كعب ﷺ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَقَالَ تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ.

لقد كان أصعب شيء على كعبٍ ﷺ هو تنكر إخوانه له وعدم ردهم السلام عليه.

- فإن المرء بإخوانه كثير، والضعيف بهم قوي، والفقير بهم غني.

- ولولا مواساتهم له عند المصيبة لزادت عليه الفجيعة.
- ولولا زيارتهم له عند المرض، لزاد عليه الألم.
- ولولا تفقدهم له عند الفاقة، لزاد عليه ألم الحاجة.
- فمن شرائع الإسلام أن يزور الأخ أخاه إذا مرض، وأن يصلي عليه إذا مات، ويشمته إذا عطس، وأن يعينه إذا ضعف، وأن يعطيه إذا افتقر، وأن يغيثه إذا استغاث، وأن يحجزه عن ظلم إذا ظلم، وأن ينصره على عدوه، وأن يرد عن عرضه في غيبته، وأن يسعى في حاجته إذا احتاج إليه.

٣٣- جفوة الإخوان لا يجب أن تصد العبد عن أعمال الإيمان:

۞ قال كعب ﷺ : **فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يكلمني أَحَدٌ.**

فكان كعب ﷺ يحرص على أداء الصلوات في الجماعة رغم ما يجده من تنكر إخوانه له.

٣٤-جواز التعزير للعاصي:

- والتعزير عقاب دون الحد يراه الإمام حتى يشعر العاصي بألم المخالفة.

- والمعصية هنا هي التخلف عن الجهاد مع ولى أمر المسلمين الذي انتدب كل القادرين على الجهاد إلى الخروج إلى العدو.

٣٥- جواز هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة:

❁قال كعب ﷺ : «وَنَهَى رَسُولُ اللهِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ.»

ـ ويجوز هجر العصاة إذا كان الهَجر يؤدبهم، أما إن كان الهجر يعين عليهم الشيطان فلا يجوز هجرهم.

ـ وأهل البدع يُهجرون مطلقًا؛لأنه ليس في مخالطتهم أي مصلحة سوى مناظرتهم طمعًا في هدايتهم، أو إقامة الحجة عليهم، ولا يسمح بمناظرتهم إلا لأهل الرسوخ في العلم،ولا يُسمح لعامة المسلمين بمخالطتهم أبدًا.

ـ وهذا الهجر لا ينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ.**» [صحيح البخاري ٦٠٧٧ ومسلم ٢٥٦٠]

ـ فالذي منع منه النبي ﷺ هو هجر المسلمين لبعضهم لخصومات شخصية وليس لمعاصٍ ظاهرة أو لبدع مُضلة.

٣٦- القسوة تكون علاجًا أحيانًا:

❁قال كعب ﷺ : **وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.**

فإن القائد والمربي يحتاج أحيانًا لأن يظهر قسوته على أتباعه ليصلحهم وليشعروا بخطورة المهمة، وعظمة المخالفة فلا يعودوا لمثلها.

٣٧- الرسول الرحيم ﷺ:

❁قال كعب ﷺ : **فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صلاتي أَقْبَلَ إِلَيَّ.**

فإن الرسول الرحيم ﷺ يرق قلبه ويتفقد كعبًا ﷺ في صلاته، ويشفق عليه بقلبه وينتظر فرج ربه جل وعلا.

وهكذا القائد المسلم يحب أتباعه ويحبونه، ويشفق عليهم ويطيعونه، حتى أثناء تأديبهم على مخالفتهم.

٣٨- المؤمن يحب ربه وإن عصاه :

❁ قال كعب ﷺ: وكان رسول الله ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ .

ـ فالمؤمن يحب ربه ويحب طاعته ويهتم بتتبع سنة رسول الله ﷺ وتتبع أفعاله ويسعى لإخبار الناس بهذا العلم، وكل هذا من البر، فالمسلم مازال يحب ربه وإن عصاه.

ـ وإن كعبًا ﷺ مازال يخبر عن أفعال رسول الله ﷺ حتى وإن عصاه، حتى وإن عاقبه رسول الله ﷺ.

٣٩- الطاعة بالغيب :

❁ قال كعب: تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ.

- فما الذي جعل كعبًا ﷺ يرتقي على سور حديقة ابن عمه الحبيب إليه، أبي قتادة ﷺ إلا أنه علم أنه لو استأذنه لن يأذن له، ولو طرق على بابه لن يفتح له.

- لأن أبا قتادة ﷺ لم يكن ليعصي رسول الله ﷺ أمامه أو من خلفه، فلم يكن ليتجنب كعبًا أمام رسول الله ﷺ ثم يصله بعيدًا عنه.

فالمسلم لا يطيع الإمام حياءً من قدْره، أو خوفًا من بطشه، وإنما يطيعه لأن طاعته من طاعة ربه، فإن عصاه وهو لا يرى فأين الله الذي يرى؟

٤٠- الحب في الله والبغض في الله :

ـ فإن أوثق عُرى الإيمان ألا تحب إلا لله ولا تبغض إلا لله.

ـ فكم كان الحب بين كعب ﷺ وأبي قتادة ﷺ، لكنه الولاء لله ولرسوله ﷺ الذي منع أبا قتادة من حب ابن عمه كعبٍ ﷺ،أو على الأقل منعه من إظهار حبه له .

٤١- هَمُّ المعصية يُقنِط العبد من رحمة الله :

۞ قال كعب ﷺ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟

– فإن المعصية الأولي تُحدِث في القلب ظلمة، وفي النفس ضيقًا، وفي الصدر حشرجة، وتفتح بابًا إلى الشياطين ليدخلوا منه فيزينوا للعاصي غيرها من المعاصي، بل يطمعون فيما هو فوق ذلك من تزيين الشرك أو الكفر بالله.

– وإن المعصية تورث **الوحشة من الله** تعالى، عكس الطاعة التي تورث **الأنس به جل وعلا**.

– وهذه الوحشة **تتعارض مع حسن الظن بالله** وتجعل العبد يظن أن الله تعالى سَيُنكل به ويعذبه ويجعله عبرة لغيره، وهذا الإحساس يقطع الرجاء في رحمة الله التي وسعت كل شيء.

– فإذا يأس العبد من رحمة الله لم يجد ما يمنعه من المعاصي والكبائر بل والكفر بالله تعالى.

– ووحشة المعصية تجعل العبد يشك أنه مازال يحب الله تعالى، فإذا انقطع حب العبد لربه تمامًا زال الإيمان تمامًا من قلبه والعياذ بالله.

٤٢- هل تقبل أن تكون من أذناب الكفار؟

۞قال كعب ﷺ: حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ

غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ.

– فإن أصحاب العقيدة الإسلامية لا يقبلون أن يحيوا تحت أي راية كفرية.

فلأن تكون غفيرًا في دولة إسلامية خيرٌ لك من أن تكون وزيرًا في دولة كفرية.

– فإن مَلَكَ غسان طلب من كعب ﷺ أن يأتيه لكي يواسيه ويقربه، وأن يدنيه ويكرمه، وهو الذي تَنكَر له أصحابه، وقطع المودة معه أحبابه.

– فتخيل لو كنت مكانه، هل تقبل أن تكون في دولةٍ كافرةٍ مصانًا أو تكون في دولةٍ مسلمةٍ مهانًا؟

٤٣- ظنوه معارضًا للنظام :

فهذه عادة أعداء الإسلام يأتون لكل من يقدح في الشريعة، أو يقدح في الله العظيم، أو في رسوله الكريم ﷺ، أو يقدح في كتابه المبين، فيعظمونه ويبرزون اسمه، ويرفعون قدره، ويعطونه الجوائز العالمية، ويكرمونه في المحافل الدولية، باسم الحرية، وأنه من المعترضين على القيود الدينية.

–فلا تجد تكريم أهل الباطل إلا للأراذل :

۞ فتجدهم يعطونه حق اللجوء، ويثورون على من يطلب محاسبته، أو معاقبته، ولو بقانونهم الوضعي، ويتهمون من يفعل ذلك أنه من أعداء الحرية.

وكأن الحرية عندهم منحصرة في سب العقائد الإسلامية، والتنكر للشريعة المحمدية أو لدين خير البرية ﷺ.

– ولا يجرؤ أحدٌ من هؤلاء الأذناب أن يسب شيئا في الديانة

النصرانية، أو يقدح في أي ذاتٍ مَلَكية.

- وكلما زاد كذبهم على المسلمين زادت لهم النياشين.

- لقد ظن الكفار أن كعبًا ﷺ معارضًا للنظام، وزيَّن لهم الشيطان هذه الأوهام، وأنه سيرحب بدعوة اللئام، وسيفضح عندهم دين الإسلام، وأنه سيكون بوقًا للخذلان، تبًا للكفار في كل زمان، وحيثما حل بهم مكان.

٤٤- الشيطان ما زال يؤز الكفار على الأبرار:

- ما الذي شغل فكر ملك غسان في بعيد البلدان سوى الشيطان؟
- بل إن هذه البلاد البعيدة لم تكن بمعزلٍ عن دولة المسلمين الوليدة.
- فما الذي أوصل تلك المعلومات إلى تلك البلاد.

- هل بلغ من نشاط مخابرات الأعداء أن عرفت كل شيء عن المسلمين وجيوشهم وقادتهم وأعدادهم وسلاحهم حتى اهتموا بثلاثة رجالٍ تغيبوا عن حربهم؟

- فإن كانت هذه المعلومة البسيطة جدًا لم تغب عن الكفار، فما هي المعلومات الكبار التي سبقتها للتدوين في دواوين الفجار؟
- انتبهوا أيها المسلمون، لا تغفلوا عن دينكم، فإن الكفار لا يغفلون عنكم، وإن غفلوا أزَّهم وليهم الشيطان، وحرضهم آناء الليل وأطراف النهار.
- حتى إنهم لم يغفلوا معلومةً صغيرةً عن ثلاثة أنفار من المسلمين، فكم من المعلومات جمعوها عن جيش كان به من الآلاف ثلاثين من حملة الرماح ومتقني الكفاح؟

٤٥- كيف لرجلٍ بسيطٍ أن تراسله الملوك؟

- من الطبيعي أن تراسل الرعية الملوك، لكن منذ

متى تراسل الملوك الرعية؟

- إن الملوك لا تراسل إلا الملوك !!
- ولكن إذا راسل ملك من الملوك رجلاً من عوام الناس فهذا معناه أن الملك يحتاج إلى شيء لا يستطيع تحصيله إلا عن طريق هذا الرجل الذي يراسله.
- ولو كان طلب الملك يُشترى بالمال لبذله أهون من أن يبذل جاهه، ويهين سلطانه ويضع من شأن ملكه باحتياجه إلى رجل بسيط، وبالأخص أنه ليس من رعيته بل من دولة أعدائه.
- وهو يهين نفسه ومُلكه بطلبه؛ لأنه لا يدري أيقبل هذا الرجل طلبه أم يرده .

- فإن قبِلَه نزل قدر ملكه؛ لأنه أصبح يتقوى بالضعفاء من عدوه .

- وإن رَدَّه كانت أبلغ في الإهانة لملكه، بل ولكل دولته؛ لأن كل دولته لا تساوي شيئًا عند هذا الرجل البسيط، وإلا لما رد طلب الملك، وقد كان في إمكان هذا الرجل البسيط أن يشترط على الملك أن يعطيه أي شيء في مملكته في مقابل إجابة طلبه، لكن كعب ﷺ **هان عليه الملك ومُلكه،** ولم يستحق كل مُلْك الملك في نظره أن يكون ثمنًا لتلبية طلبه، **فأصبح كعب بمنزلة الملك وأصبح الملك كأنه مملوك.**

٤٦- مازال كعبٌ ﷺ تلميذًا في مدرسة النبوة :

فإن هذا الصحابي ﷺ الذي تعلم الولاء والبراء من نبعه الصافي، من رسول الله ﷺ، كان له موقف واضح تجاه دينه، رغم ما هو فيه من المحنة والبلاء.

- فهو كان يعلم أن مكاتبة الملوك له بلاءٌ أشد من البلاء الذي هو فيه.
- لأن ما هو فيه من البلاء إنما هو تمحيص للذنوب وتطهير

من الخطايا.

– وأما بلاء تواصله مع الأعداء إنما هو إنحطاط في الدركات.

– **فهو يعلم أن ملوك الكفار سيعطونه الدنيا وسيطلبون منه الآخرة**، سيعطونه المال والمناصب والجاه والشهرة، وسيأخذون ثمن ذلك فادحًا، سيأخذون دينه وولاءه لله ولرسوله وانتمائه للجماعة المسلمة.

– وهو يعلم أنهم لن يتركوه حتى يَسُب الله ورسوله ودين المسلمين.

٤٧- كعبٌ رضي الله عنه قطع وسواس الشيطان:

❁ قال كعب رضي الله عنه : فَسَجَرْتُ لَهَا التَّنُّورَ وَأَحْرَقْتُهَا فِيهِ.

– لقد ألقى كعبٌ رضي الله عنه الرسالة في النار التي كانت تُعد لتجهيز الطعام .

– إن كعبًا رضي الله عنه لم يكتفِ بالرد بالنفي على رسول ملك غسان، ثم احتفظ بالرسالة، وقال: أستخدمها عندما أحتاج إليها.

– فتظل نفسه تنازعه بين داعي الرحمن وداعي الشيطان.

بل كان عنده من الفقه ما قطع به دابر الشيطان، فأزال سبب الغواية، وأغلق في وجه الشيطان باب الوسواس والصد عن الهداية.

– فكان هو الحر وهم المأسورون.

❁ فهو حرٌ بعبادته لرب العالمين وهم العبيد بعبادتهم للمخلوقين .

❁ وكان هو العزيز بذله لرب السماوات والأرضين، وهم الأذلاء بذلهم لغيره من المربوبين.

❁ وكان هو الغني لعدم احتياجه لما في أيديهم من الدنيا، وكانوا

هم الفقراء لاحتياجهم إليه وإلى الدنيا، وظنهم أن العز في تحصيلها، فما زادوا إلا تعلقًا بها، وفقرًا إليها وهم يملكونها.

❁ فكان هو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

ـ وفيه جواز إحراق ما فيه اسم الله تعالى للمصلحة، فإن في متن الرسالة : « وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ.»

٤٨- الجاسوس حامل الرسالة أتى بزي الأنباط وانتحل صفة التجار:

– فقد جاء الجاسوس متخفيًا يرتدي زي الأنباط، وهم الفلاحون، حتى لا يشك فيه أحد .

❁ وقال ابن حجر والنووى أنه كان نصرانيًا .

ـ وزيادة في التعمية انتحل صفة التجار، فأتى معه بطعام لكي يبيعه في المدينة المنورة.

ـ وعملية البيع ستأخذ وقتًا ولابد، ووقت ممارسة البيع لن يثير تساؤلات أحد، وأثناء البيع سيطَّلع على مزيد من المعلومات، وسيسأل عن مكان كعب رضي الله عنه ولن يستهجن ذلك أحد؛ لأن إتمام الصفقات يتخلله حوارات جانبية كثيرة وشيء من المودة لتسهيل الاستلام والتسليم والدفع والقبض وعَدُّ النقود.

ـ يا أمة الإسلام إن أعداء الإسلام والمسلمين لا يألون جهدًا في استغلال كافة الفرص في حربكم والكيد لكم، فانتبهوا لهم ولا تتركوا لهم أي فرصة.

٤٩- يُبتلى المرء على قد دينه :

❁ سئل رسول الله ﷺ: « أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً . قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ ، فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى

حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.» [صحيح: رواه أحمد ١/ ١٨٥ والترمذي ٢٣٩٨ وابن ماجه ٤٠٢٣ والدارمي ٢٧٨٣ وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٣]

وإن كعبًا ﷺ كان ممن شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا، وكان قد شهد العقبة الثانية .

– وعلى قوة هذا الدين يكون ابتلاؤه من رب العالمين.

ـ وإن عظم الأجر يكون على قدر عظم البلاء.

ـ وإن اشتداد البلاء دليل قرب الفرج.

ـ فإن أحلك ساعات الليل سوادًا هي قبيل طلوع الفجر.

ـ وإن أشد آلام المخاض تكون قبل لحظة الولادة.

٥٠- عقاب القائد لجنده بشيء لا يراه، دليل يقينه بولائهم له:

۞ قال كعب ﷺ : حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ.

– بعد أربعين ليلة من العقاب أمرهم رسول الله ﷺ أن يعتزلوا نساءهم.

– هذا ليس معناه أن العقاب الأول لا يكفي.

– **لكن معناه أن القائد يجزم بولاء الجنود له** وأنهم ما زالوا يحبونه، ويطيعونه.

فلا يوجد في العالم – عدا المسلمين – قائدٌ يفرض على جنوده عقابًا غيبيًا ، لا يراه.

– لأن بإمكان الجنود – عند غير المسلمين – أن يظهروا الطاعة

في العلن ولا ينفذوا العقاب في الخفاء.

– فالنبي ﷺ أمره أن يجتنب امرأته ولم يأمره أن يخرجها من البيت، فمن الذي يضمن تنفيذ هذا العقاب بالغيب؟

– **لا يضمنه إلا ولاء الجندي لقائده ولربه ولدينه.**

– إنها علاقة خاصة بين القائد المسلم وجنوده، وإنها تربية من نوع فريد، هدفها الارتقاء بالفرد، وأساسها الثقة بين الراعي والرعية، وأن العقوبة ليست لهوى نفس المعاقِب، أو لإذلال المعاقَب.

٥١- قانون العقوبات في الشريعة الإسلامية ييسر على العاصي الرجوع إلى ربه :

– فإن الصيام من أهم الزواجر التي فرضها الله تعالى على المخالفين.

– فجعله الله كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة القتل الخطأ.. وغير ذلك.

– والصيام عبادة خفية غيبية بين العبد وبين ربه، ولا يتحكم فيها بشر على بشر؛ لأنها متعلقة بالنية، فلا يمكن فيها القهر والإجبار.

– فأنت تقدر على أن تحرم رجلاً من الطعام، لكنك لا تستطيع أن تجبره على نية الصيام.

۞ وإن الالتزام بشرائع الإسلام مرده إلى الخوف من الرحمن لا الخوف من السلطان.

– وإن الخروج على شرائع الإسلام لا يشبه كسر إشارة المرور، فإن رآه الضابط ألزمه غرامة مادية، وإن لم يره أحد هرب من العقوبة الدنيوية.

– بل إن شرائع الإسلام مبناها على اعتقاد مراقبة الله تعالى لعباده وإنهم لا يمكن أن يخرجوا عن علمه وسمعه وبصره طرفة عين، فكيف يهربوا من عقابه؟

وأغلب الذنوب خفية، والله تعالى جعل عقابها في نارٍ محمية، وهي عقوبة أخروية.

– ولم يجعل الحدود إلا للذنوب المتعدية.

– وإذا عاقب الخالق خلقة بالصيام فهذا معناه أن الخالق جل وعلا يعطى العصاة الثقة في أنفسهم أنهم ينفذون عقابه بلا رقابة عليهم سوى أنفسهم.

۞ هل رأيت دينًا هو أرقى وأعظم من هذا الدين؟

– هل رأيت دينا يرتقي بالعاصي ليرفعه إلى مقام المحسنين الذين ينفذون أوامر الله ويعتقدون أنه يراهم في كل حين؟

– فما من عاقل يرى محاسن هذا الدين إلا اختاره على كل دين.

٥٢- المسارعة إلى الطاعة :

۞ قال كعب ﷺ لرسول رسول الله ﷺ الذي أمره أن يعتزل امرأته: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟

– إنها المسارعة إلى الطاعة مهما كان فيها من ألم النفس.

– فإن كانت أمرًا من الله فمرحبًا به، ولا اختيار للعبد بعد اختيار الله له.

– إنه الرضا بأمر الله، والتسليم بقضائه، وحسن التفويض له، وتمام الاستسلام له، وصدق التوكل عليه، وحسن الرجاء فيه، واليقين بحكمته البالغة، واليقين بحسن العاقبة عنده.

– إنه حسن الظن بالله الذي يبلغ بالعبد أعلى الدرجات.

– فكان الأمر : لاَ ، **بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا**.

٥٣- يجب على الإنسان أن يتجنب أسباب الوقوع في المحذور :

۞ قال كعب ﷺ لامرأته : **الْحَقِي بِأَهْلِكِ**.

قال كعب ﷺ ذلك لامرأته ليس على سبيل الطلاق، ولكن لكي تبتعد عنه فيتحقق له عدم الاقتراب منها، وهو كناية عن عدم جماعها.

ـ فلكي يلزم نفسه بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، أَمَرَهَا أن تمكث عند أهلها حتى يقضي الله في أمره.

ـ فإن خفت أن تقع في شيء من الحرام ، فاقطع سبيله وأغلق بابه ولا تختبر نفسك وتقول : إن عندي من قوة الإيمان ما يمنعني من الخطأ ، فأنت لا تدري متى يغلبك الشيطان، والسلامة لا يعدلها شيء.

٥٤- كيف يَهْرَم المقاتل في خمس سنوات فقط؟

– فإن امرأة هلال بن أمية ﷺ جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟

– إن هلالاً هذا كان من شجعان بدر، ويوم بدر ما سبق هذا اليوم إلا بخمس سنوات فقط، فكيف يصبح الفارس شيخًا فانيًا في خمس سنوات؟

– بل أنه لو كان شيخًا فانيًا بالفعل قبل الخروج إلى غزوة تبوك منذ أقل من ثلاثة أشهر لسقط عنه وجوب الخروج إلى الغزوة لعجزه وشيخوخته، ولما طالبه النبي ﷺ بالخروج، ولما احتاج هو للاعتذار عن عدم خروجه بعد أن أعذره الله تعالى.

– هذا يعني أنه كان جذعًا عند نفرة الجيش إلى تبوك، ولم يكن شيخًا فانيًا وإلا لما وجب عليه الخروج.

– فكيف شاخ الرجل بهذه السرعة؟

– **إنها الأمراض التي ركبته بسبب الهم الناتج عن المعصية.**

٥٥- شدة الندم على الذنب دليل صدق التوبة :

۞ قالت زوجة هلال بن أمية ﷺ : « **وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلى يَوْمِهِ هَذَا.**»

۞ (ربَ ذنب أدخل صاحبه الجنة، وربما طاعة أدخلت صاحبها النار.)

۞ قال ابن تيمية : قال سعيد بن جبير : إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة ، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نُصب عينه ، فيستغفر الله ويتوب إليه منها. [التحفة العراقية ٥٧ ومجموع الفتاوى ١٠/ ٤٥]

ـ لأن الذنب أورث صاحبه ندمًا طويلًا، وبكاءً مريرًا، وعزمًا أكيدًا على فعل الطاعات.

وإن الطاعة أورثت صاحبها كبرًا ومنًا، وأشرًا وبطرًا، فأورثت صاحبها طردًا من رحمة الله، فأبطلت الطاعة وأصبحت هباءً منثورًا، وسرابًا كاذبًا، وظلًا زائلًا.

٥٦- الوفاء خلق الإسلام :

إن امراة هلال بن أمية ﷺ لم تقل : فرصة أهرب من الخدمة، بل إنها لم تنسَ إحسان زوجها إليها، فأرادت أن تلازمه وتخدمه عندما احتاج إليها .

– **إنه الوفاء، وإنه خلق هذا الدين العظيم.**

إنها لم تفترِ على زوجها معصية لم يعملها، أو تكذب عليه كما

تفعل بعض النساء، بل إن قلبها كان يحب أن تُغفر له معصيته.

– إننا نحتاج إلى هذه الأم وهذه الزوجة الآن لكي نتعلم منها الوفاء.

٥٧- إنهم رحماء بينهم :

وبعد خمسين ليلة كان كعب ﷺ يصلي الفجر على سطح داره، وبلغ به الضيق أشده، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت..... فإذا بالفرج.

۞ قال كعب ﷺ : فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

– كلمة أبشر.. ما أحلاها... تسابق الصحابة إليها.

– فكان أسبقهم من صرخ بها من أعلى الجبل.

– ثم فارس أتى على فرس، من أين له بالفرس؟ **وهل تكون الخيل مستيقظة ومسروجة عند صلاة الفجر؟** لقد فعل هذا الصحابي شيئًا غير عادي لا يدل فقط على مدى حب الصحابة ﷺ بعضهم لبعض، ولكن يدل على لياقة بدنية عالية كانت عند الصحابة ﷺ، ويدل على استعدادٍ كامل لأي طارئٍ مُحتمل.

– اللهم ارضَ عن أولئك النفر الصالحين الذين ضحوا في سبيل الدين، فكانوا يبيتون في السلاح، ويصبحون فيه، وعاهدوا نبيهم ﷺ ألا يذوقوا الراحة إلا في الجنة.

– لقد كان الواحد منهم يفرح لأخيه كأنه يفرح لنفسه، وكان يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

۞ قال رسول الله ﷺ : **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.** [صحيح البخاري ١٣ ومسلم ٤٥]

٥٨- المؤمن يظهر فرحته بالطاعة والفاسق يظهر فرحته بالمعصية :

۞قال كعب رضي الله عنه : **فَخَرَرْتُ سَاجِدًا.**

ـ فإن المؤمن يظهر فرحته بالسجود وهو من أعظم الطاعات لله المعبود.

ـ وإن الفاسق يظهر فرحته بالمجون والفجور ومخالفة أمر ربه الغيور.

ـ ما بال أفراح المسلمين في مساجدهم فيها الطاعة والصلاة والقرآن والذكر، بينما أفراح الفساق فيها الرقص والقيان، وفاجر الألحان، نعوذ بالله المنان مما يغضب رب الأكوان.

٥٩- ما بال مساجدنا تغلق بعد الصلاة ؟

لقد صلى المسلمون الفجر مع رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بقبول توبة كعب بن مالك وأصحابه رضي الله عنهم وأعلن النبي ﷺ توبة الله عليهم، وتسابق الصحابة رضي الله عنهم لتبشير كعب وأصحابه رضي الله عنهم ، وذهب الفارس يبشر كعبًا رضي الله عنه على فرسه،ثم جاء كعب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ .

كل هذا ومازال الصحابة في المسجد.

لقد كان المسجد بيتهم، ومكان اجتماعاتهم، ومكان فرحهم

بعيدهم، ومكان عقد لواء حربهم، ومكان بيعتهم لإمامهم، ومكان إطعام جائعهم، ومكان تفريج كربة معسرهم،ومكان تقاضيهم.

ـ فكانت الحبشة تلعب فيه بالرماح يوم العيد.

ـ وكان عمر رضي الله عنه يضع فيه الطعام مرات كل يوم لكل جائع.

ـ وكان النبى ﷺ يجمع فيه الصدقات. وكان.....وكان.

وان وقت الفجر له ميزة خاصة.

۞ قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ** ». [حسن: رواه الترمذي ٥٨٦ وحسنه الألباني في الصحيحة ٣٤٠٣]

۞ قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**». [صحيح مسلم ٢٦٩٢]

٦٠- هدية المبشر سُنَّة :

۞ قال كعب رضي الله عنه : فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ.

– لقد وهب كعبٌ رضي الله عنه ثوبيه لمن بشره بفرج الله ولم يكن يملك غيرهما .

– هل هذا يكفى أن يدل على عدم تعلقهم بالدنيا وأنهم لم يكونوا يحسبون لها كبير قدرٍ؟

– أم أنهم كانوا يوقنون بأن ما عند الله خيرٌ وأبقى؟

– أم كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟

– أم أنه كل ما سبق؟

۞ قال رسول الله ﷺ: «**مَن صَنَعَ إِلَيكُم مَعرُوفًا فَكَافِئُوه، فَإِن لَم**

تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ.» [صحيح رواه أحمد ٢/ ٦٨ وأبو داود ١٦٧٤ والنسائي ٢٥٧٩ وصححه الألباني في الإرواء ١٦١٧]

ـ وفيه استحباب التبشير والتهنئة لمن تجددت له نعمة ظاهرة.

ـ وفيه جواز الاستعارة في الملابس وغيرها، وهي كالقرض لها نصف أجر الصدقة،وذلك لاستعارة كعب ﷺ ملابس يلقى بها رسول الله ﷺ.

ـ وفيه جواز القيام لتهنئة من حدثت له نعمة دينية كأن رجع من جهاد أو حج أو بناء مسجد وذلك لقول كعب ﷺ : «**فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ.**»

ـ وفيه استحباب المصافحة عند التلاقي وذلك لقول كعب ﷺ : «**حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي.**»

٦١- عدم نسيان إحسان الخلق :

❁قال كعب ﷺ : **وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.**

ـ وقد كان طلحة ﷺ من المهاجرين، وكان كعب ﷺ أنصاريًا، وكان النبي ﷺ قد آخى بين كعب وطلحة ﷺ عندما هاجر طلحة ﷺ إلى المدينة.

ـ فيا سعد من نسى إساءة المسلمين إليه وتذكر إحسانهم.

كيف سيخلو قلبه من الحقد عليهم ولا يبقى فيه إلا المحبة لهم؟

٦٢- وجه رسولنا ﷺ كان أضوء من القمر:

❁ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ

اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ.

– فلم يكن وجهه كالسيف بل كالشمس ﷺ.

– وكان يُري السرور في وجهه ﷺ.

– وكان يبتسم حتى تبدو نواجذه.

❁وكان يقول ﷺ: تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ . [حسن: رواه الترمذي ١٩٥٦ وحسنه الألباني في الصحيحة ٥٧٢]

❁ وكان ابن عمر ﷺ يقول : « إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ، وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ» [رواه البيهقي في شعب الإيمان ٨٠٥٩ والخرائطي في مكارم الأخلاق ١٣٣٠]

٦٣- خير يوم هو يوم توبة الله على عبده :

❁قال رسول الله ﷺ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ.

– فيوم قبول توبة العبد هو يوم سعده، ويوم إقالة عثرته، ويوم العفو، ويوم المغفرة، وعدم المؤاخذة بالذنب، ومحو أثره في الدنيا وفي الآخرة، فلا تبقى له ظلمة في القلب، ولا بغضًا في قلوب الخلق ولا وحشةً مع الخالق، ويبدله الله بالبعد قربًا، وبالمعصية طاعة، وبالظلمة نورًا، وبالبغض حبًا، وبالذنب حسنة، وبالعذاب نعيمًا.

– فإن من تمام محو أثر الذنب والعفو عنه أن يبدل الله تعالى مكانه حسنة؛ لأن محو أثره في الآخرة معناه منع العقوبة ومنع استحقاق العذاب، **ومن لم يستحق العذاب فقد استحق الثواب** والحمد لله الوهاب.

٦٤- ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ :

❁ قال كعب ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ

مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ .

– فإن من تمامَ التوبة وشواهد قبولها، الإقبال على الطاعة والإكثار من القربات وتقديم أعمال البر بين يدى التوبة .

– فإن الصدقات تمحوا الخطيئات وتطفئ غضب رب البريات.

– وإن كعباً ﷺ أراد أن يتصدق بماله كله شكرًا لله على نعمه.

– ولكن رسول الله ﷺ نصحه أن يبقي بعض ماله لما في ذلك من الخير له.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.**»

– لأنه قد يحتاجه في يوم من الأيام، فما يستبقيه خيرٌ له من سؤال الناس.

– ولأنه ربما يحتاج للمال في المستقبل، وربما لا يجد مصدرًا للمال الحلال، وربما يسأل الناس فلا يعطونه، وهذا يخشى عليه أن يندم على صدقته الأولى، فيحبط ثوابها بالندم على فعلها، فيخسر بذلك دنياه وآخرته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

– وفيه استحباب الصدقة شكرًا للنعم.

ـ وفيه أن المسلم لا ينبغي أن يكلف نفسه إلا ما يقدر عليه، ولا يكلف نفسه ما لا طاقة له به.

ـ وفيه أن من نذر أن يتصدق بكل ماله لم يلزمه أن ينفقه جميعه لقول رسول الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.**»

ـ وفيه أن من رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله أن ينصحه أن يبقي شيئًا لأهله.

ـ وفيه أن من شروط التوبة العزم على عدم العودة للذنب.

❁ قال كعب ﷺ: «**وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا.**»

ـ وفيه أنه من تاب بسبب من الخير أن يحافظ على ذلك السبب، وهو الصدق في هذا الحديث.

ـ وفيه أن إحسان الظن بالله يجب أن يرافقه عمل.

❁ قال كعب ﷺ: **وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهَّ فِيمَا بَقِيتُ.**

ـ فهذا الرجاء من كعب ﷺ قابله عمل وهو المحافظة على الصدق.

٦٥- أعظم النعم الهداية :

❁ قال كعب ﷺ: « **فَوَاللهَّ مَا أَنْعَمَ اللهَّ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهَّ.**»

ـ دليل على أن أعظم **النعم** الهداية ثم الصدق.

ـ وفيه أن أعظم أسباب الهلاك الكذب على رسول الله ﷺ حيًا أو ميتًا.

❁ قال كعب ﷺ: « **فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا فَإِنَّ اللهَّ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ.** »

٦٦- تمسك بالحق وإن كنت وحدك:

فاسلك طريق الهداية ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطريق الغواية، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

ـ فقد نجا كعب ﷺ وصاحباه ﷺ وكانوا قلة.

وهلك المنافقون الذين حلفوا كذبًا لرسول الله ﷺ وكانوا كثرة، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا.

٦٧- إن العاقبة للمتقين :

ـ إن العبرة بالخواتيم.

ـ فقد ظن الناس نجاة الحالفين بالكذب، ورأى الناس عذاب الصادقين وعقابهم من النبي الأمين عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم.

ـ وفي النهاية ظهر الحق وزهق الباطل.

ـ فظهر صدق الصادقين، وظهر كذب الكاذبين، وتاب الله على الصادقين، وأركس المنافقين، والحمد لله رب العالمين.

٦٨- الصدق منجاة :

۞قال كعب رضي الله عنه : إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ.

۞ الصدق خير العمل، والصدق منهاة عن الإثم والزلل.

۞ ومن التزم الصدق نجا وفعل أمر ربه وعما نهى عنه انزجر.

– **فإذا همَّ بمعصية** نهاه الصدق، فبماذا يجيب الناس إذا سئل عنها؟!

– **وإذا كسل عن طاعة** نهاه الصدق، فبماذا يجيب الناس إذا افتقدوه فيها؟!

– ومن عَلِمَ أنه سيُسأل بين يدي من لا تخفى عليه خافية،

فليعد للسؤال جوابًا، فإنه سيسأل عن القليل والكثير، والقنطار والقطمير، فإن كان لابد من الإجابة فلتكن خير الإجابة، وإلا فستشهد عليه أعضاؤه، وسيندم على تسويف الإنابة.

ـ وان الكذب حبله قصير وأمره ذليل.

ـ ومن كذب على الناس كيف يكذب على الله؟

۞ قال كعب رضي الله عنه : « **فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولُ اللهِ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ إِنِي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بشيء فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.** »

۞ قال رسول الله ﷺ: « **مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا.** » [صحيح مسلم ٢٦٠٧]

ـ وأول الصدق مع النفس، فمن صدق مع نفسه سهل عليه الصدق مع الناس.

– **فمن الآن فلتصدق مع ربك بطاعته، ومع نفسك بتأديبها، ومع الناس بعدم ظلمهم، وأداء حقوقهم، والحمد لله الذي بذلك أمرهم وعن المعاصي زجرهم.**

– **وله الحمد لأنه أذن لكعبٍ في التوبة أولاً ثم قبلها منه آخرًا ،فكانت توبة العبد بين توبتين من الرب.**

– **وصلى الله وسلم على من بعثه الله للثقلين هادياً، وللجنة مناديًا وعن سبيل النار ناهياً.**